مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة

العدد الخامس

1988م.

- المعارف اللازمة للداعية
- المحاولات الإستعمارية لتقويض الإسلام في الجزائر
- منهج الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي
- الفكر التربوي بين الأصالة والتغريب
- جامعة الزهراء جامعة علمية يخسرها العالم الإسلامي

جامعة الزهراء
جامعة علمية يخسرها العالم الإسلامي

الأستاذ
فريد الدين أيدن

مقدمة:

لقد اهتم الباحثون بكثير من الموضوعات وكرسوا بالغ جهودهم في كل حقبة من أحقاب التاريخ لكشف القناع عما أكل عليه الدهر وشرب من المعالم الحضارية والحقائق العلمية التي ظلت تحت ستار الخفاء على امتداد العصور، كما أن العالم المتحضر اليوم يشهد في كل صبيحة سيلاً متدفقاً من مختلف الأنباء عن الأحداث المزدحمة والبحوث والتطورات عن طريق أجهزة الإعلام بمختلف أنواعها مما يجعل

هذا الواقع غير خاف عن الإنسان المعاصر في كل أصقاع المعمورة.

إلا أن الأمر الذي يندهش منه الإنسان هو أن جامعة علمية من كبريات الجامعات الموجودة في العالم الإسلامي تتعرض لكارثة وتصبح فريسة لأعداء الإسلام ولا يحرك أحد في العالم الإسلامي ساكناً، بل تختفي معالم هذه الجريمة على أنظار الغالبية العظمى من المسلمين.

ولقد رأيت بصفتي متخرجاً من هذه الجامعة الجليلة أنَّ من واجبي جمع القدر اليسير من المعلومات حول الكارثة التي تعرضت لها هذه الجامعة حتى أصبحت مرغمة كماً مهملاً في طي التاريخ نتيجة غير مباشرة للعدوان الصهيوني الصليبي المزدوج. ولقد عملت ذلك حتى أكون قد استوفيت ما ترتب عليَّ من المسؤولية أمام التاريخ.

إني لست بصدد الأبعاد العريضة لما يحاك اليوم ضد الإسلام والمسلمين في أنحاء العالم من العدوان والضغوط بشتى أنواعها، لأنه من المستحيل حصر ما يدخل في هذا النطاق المتعدد الأسباب والنتائج وإدراجها في مثل هذا الهامش. لكني قمت بلمحة وجيزة إلى بعض الجوانب من الحياة العلمية في المنطقة الشرقية من تركيا بداية من القرن التاسع عشر الميلادي حتى نهاية الستينات من القرن العشرين. ولخصت عوامل الضعف والتدني لهذه الحياة، وما تعرض له المجال العلمي من الانهيار والدمار نتيجة مؤامرات صهيونية صليبية ظلت خافية على كثير كثير من الناس حتى الآن.

ورأيت الحاجة في بداية هذه الدراسة إلى أن أتطرق إلى طبائع المنطقة التي تكونت فيها الجامعة الزهراء بما لهذه المنطقة من الميزات التاريخية والاجتماعية.

وخاصة فإن هذه العجالة تتناول الأحداث التي مرت بها الجامعة الزهراء، المركز العلمي العظيم الذي كان لفترة من الزمن جامعة علمية يتوافد عليها طلبة العلم فتجود عليهم بمعارفها الغزيرة ومناهجها التربوية الشاملة.

ولكي يطلع القارىء العربي على مدى الخطورة التي أصبحت تهدد النشاطات العلمية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي والتي تمهد الفرصة لأعداء الإسلام ليتمكنوا من السيطرة على معنوياتهم، كما قد تسلطوا عليهم في المجالات

السياسية والاجتماعية، وضعت هذا البحث لعله يعمل دوره في تنبيه مشاعر المسلمين ضد ما يضمره الأعداء من الكيد والخداع.

البيئة

المنطقة الشرقية من القطر التركي وطبيعتها الاقليمية والاجتماعية والجغرافية

أرى أن أعطي صورة حقيقة عن المنطقة الشرقية من القطر التركي التي هي ميدان بحثنا حول الجامعة الزهـراء، وأن أشير إلى جـوانبها الإقليميـة والاجتماعية والجغرافية قبل أن أخوض في الموضوع لأني لا أشك أن في هذا التصوير الواقعي توضيحاً غريباً على القارىء سيجعل في نفسه حيرة بالغة يتساءل بها كيف ظلت هذه الحقائق خافية عليه في الوقت الذي يتمتع فيه بحظ وافر من الثقافة والمعرفة الواسعة حول بلدان العالم والأجناس البشرية والأديان والثقافات وحتى عن شعب الأسكيموا الذي يقطن أقصى بقاع الدنيا ويعيش في كهوف من الثلج بينما يرتبط القارىء العربي المسلم مع الشعب التركي وسكان هذه المنطقة من أرضه بروابط تاريخية وروحية متينة؟؟

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن هناك غموضاً متواصلاً منذ أحقاب التاريخ حتى الآن حول الطبيعة التي تتميز بها منطقة شرق تركيا من جوانب كثيرة، والحالة التي تسود فيها من مرحلة إلى أخرى بحكم الظروف الإقليمية والجغرافية وأحياناً بدوافع استراتيجية تتكيف حسب الصراع الذي يدور في هذه المنطقة من مختلف الاتجاهات.

إن الميزة الإقليمية لهذه المنطقة لا يمكن تحديد أبعادها إلا بالربط بين ميزاتها التاريخية والجغرافية لأنها في كلا الناحيتين تختلف بفروق شاسعة عن بقية المناطق الست المطوّقة معها بالحدود الوطنية التركية.

أولاً: إن معظم هذه المنـاطق التي يذكـرها المؤرخـون باسم «آرمينيـا ـ ARMENIA»[1] قد فتحت من قبل الصحـابة رضي الله عنهم في صـدر

(1) سميت هذه المنطقة بعد إعلان الجمهورية التركية باسم «DOGU ANADOLU BOLGESI» أي منطقة شرق تركيا، وهي محددة في الأطلس التركي كمنطقة مناخية من المناطق الست المطوّقة بالحدود الوطنية التركية.

الإسلام. والمعالم التاريخية والاجتماعية المنتشرة في المنطقة حتى يومنا هذا شاهدة على هذه الحقيقة.

منها: أضرحة الشهداء من الصحابة مثل عبد الرحمن بن معاد بن جبل بمدينة أخلاط AHLAT الواقعة في شرق بحيرة وان، وضريح أبي ذرّ الغفاري قرب مدينة آديامان ADIYAMAN، وضريح محمد بن علي ابن أبي طالب في قرية قريشيكا KOREYSHIKA قرب ولاية سعرد وكثير غيرهم.

هذا بالإضافة إلى القلة العربية القاطنة في مدينتي سعرد وماردين وضواحيها، تشهد بكل وضوح على أن هذه المناطق قد انضمت إلى الوطن الإسلامي على يد الفاتحين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأن الشواهد التاريخية تثبت بصورة قطعية أن خالد بن الوليد هو الذي فتح مدينة سعرت SIIRT وديار بكر DIYARBAKIR، ومعه القائد عياد بن غانم برئاسة القائد الأعلى والصحابي الجليل ابن عبيدة عامر بن الجراح، رضوان الله عليهم وذلك في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أما المناطق الأخرى من الساحة التركية فقد فتحت على يد الأتراك الزاحفين من أواسط آسيا على مراحل متتالية بعد اعتناقهم الإسلام.

لا شك أن الميزة التاريخية للمنطقة لا تقتصر على هذا القدر؛ لأن المنطقة آهلة بأغلبية كردية من أهل السنة، يزداد عددهم بكثير عن المواطنين من كلا العنصرين العربي والتركي. وتعتبر الأغلبية الكردية هي أقدم السكان لهذه المنطقة.

فقد أخذت المنطقة شوطاً كبيراً من التمدن إن لم تكن في مستوى المناطق الأخرى. وذلك نتيجة عناية الحكومات التركية في السنين الأخيرة عندما غلب الظن في الأوساط السياسية أن التخلف السائد في المنطقة الشرقية هو أحد أكبر العوامل التي تسبب الكراهية في نفوس الأكراد ضد العنصر التركي، وأن الوضع المتخلف للمنطقة يمكّنهم من الاستدلال على أن الأغلبية التركية تحتكر السياسة ضدهم.

إن الأكراد يتحدثون باللغة الكردية ويدعون أن لهم تاريخاً وثقافة، وأن

عددهم يزداد في الوقت الحاضر على خمسة عشر مليون مواطن، أي يكون هذا العدد ثلث سكان تركيا، إذا صح ذلك.

وهناك حقيقة أخرى لا يجوز استحقارها، وهي أن الأكراد معتزون بالإسلام ومتمسكون به بالقدر الذي يهتف الأتراك باسم الإسلام ويتعصبون له بغض النظر عن السلبيات العقائدية المتمثلة في التفسير التقليدي للإسلام بالنسبة للفئتين.

أما من الناحية الجغرافية، فإن هذه المنطقة جبلية في الغالب وتغطيها غابات وتكثر فيها المياه العذبة ويهتم غالب سكانها برعي المواشي والزراعة.

تضم هذه المنطقة عدداً من المدن العريقة ومن كبرياتها: مدينة وان VAN، وآغري AGRI وأرض الروم ERZURUM، وأرض الجان ERZINCAN، وموش MUS، وبينكول BINGOL، ومدينة العزيزية ELAZIG، وديار بكرDIYARBAKIR، وبتليس BITLIS، وسعرد SIIRT، وماردين MARDIN، وأورفا URFA، وملطية MALATYA.

وأما من الناحية الاجتماعية فإن الميزة القبلية سائدة بين الأكراد. وأن كل ضاحية تسيطر عليها عشيرة معروفة باسمها.

ومن العشائر القديمة المعروفة في هذه المنطقة:

1 ـ القاطنة منها بضواحي مدينة سعرت وهي: عشيرة البخطية (البهطية)، وعشيرة سلوقان وهويدان وستوركان.

2 ـ القاطنة منها بضواحي مدينة بتليس، وهي: عشيرة دوملان، وعشيرة عثمانكان وعشيرة مرتكان.

3 ـ القاطنة منها بضواحي مدينة موش، وهي عشيرة طابيان، وبارْسنك، وعشيرة شَيْبُو (العربية) وعشيرة الدرية (العربية).

4 ـ القاطنة منها بضواحي مدينة آغري، وهي: العشيرة الحسنية الكردية، وعشيرة سيبكان المسيطرة على الضاحية.

5 ـ القاطنة منها بضواحي مدينة وان، وهي: العشيرة الحيدرية الكردية.

6 ـ القاطنة منها بضواحي مدينة الموصل، وهي: العشيرة الكركرية الكردية.

7 ـ القاطنة منها بضواحي مدينة جوناسرك، وهي: العشيرة الهريتية الكردية.

وقد كان النزاع سجالاً بين هذه القبائل حتى السنين الأخيرة، ولم تكن من العادة عندهم اللجوء إلى المحاكم والتمسك بالقوانين المتبعة، إنما كانوا يرفعون قضاياهم إلى رجال الدين المعروفين بسمة العلم أو بصفة روحية كمشائخ الطرق وخلفائهم، ويتم الحل الحاسم بطريقة تقليدية عرفية بواسطتهم بين الأطراف المتنازعة. إلا أن سيطرة الدولة القائمة في المنطقة منذ السنين الأخيرة قد أثرت في تغيير الكثير من الاتجاهات والممارسات وكذلك على هذه العادة نفسها.

مقارنة تاريخية وجيزة بين المراحل المتتالية في المنطقة:

عندما نتفقد المراحل التاريخية لهذه المنطقة من خلال الآثار المتبقية والرصيد الذي يمكننا أن نستدّل به على وجود الأكراد في هذا الإقليم قبل الفاتحين من العرب والترك، نجد أنهم معتنقون للإسلام بعد الفتوحات مباشرة، وأنهم متحمسون لهذا الدين في الوقت نفسه.

إلا أن الطبيعة الوعرة للمنطقة لم تسمح لهؤلاء القوم أن يخرجوا من خمولهم وعزلتهم في أية مرحلة من مراحل التاريخ، لذلك لا نجد ما يفيدنا اليوم في المقارنة بين ماضيهم وحاضرهم بصورة واضحة من حركات علمية وثقافية وعسكرية واجتماعية إلا رموزاً تفيدنا أنهم قد اتبعوا الأسلوب التقليدي للعرب في وضع القصص الشعرية مثل قصة (مم زين)، واستعمال الشعر في التصوف والعشق الإلهي، مثل ديوان (ملا أحمد الجزري) الذي يعتبر من أروع النماذج للأدب الكردي القديم. ولهذا فلن نسيء إليهم إذا اعتذرنا في أن نغفل ماضيهم الذي ينتهي في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، حيث شهدت المنطقة في مستهل هذا القرن نشاطاً ملحوظاً للحركات العلمية والثقافية ذات الأهمية الكبيرة كما يظهر دبيب النزعة القومية في شعور سكان المنطقة في هذه المرحلة.

بداية النشاط العلمي وانتشار الحركة الثقافية:

وعندما نتأمل بداية الحركة العلمية والثقافية في أنحاء هذه المنطقة وندقّقُ البحث فيها. نجد أمامنا بكل وضوح أن هذا التحول الذي يظهر في مستهل القرن التاسع عشر ليس إلا إحساس جالية بوجود تراثها الذي دسته يد التاريخ، ويقظة منها ونزعة إلى السمو الروحي والصمود أمام الاستعدادات التي أعدها الغرب للانقضاض على الشرق وبعث لإحياء ما اختفى من القيم تحت وطأة عوامل سودت وجه التاريخ، وغيرت مجراه منذ حقبة تمتد إلى القرن الرابع الهجري.

ترى من تكون هذه الجالية التي استيقظت من رقادها العميق إلى الوعي بمسؤولياتها، وانبعثت من جديد بعد مضي حقبة تتجاوز تسعة قرون أو ما يقاربها.

هذا السؤال يستطيع أن يجيب عنه كل من يتمكن من الإطلاع على النسيج الاجتماعي الذي يغطّي هذه المنطقة وبكل سهولة لأن بقاعاً من هذه المنطقة آهلة بجالية عربية تكاد تكون نموذجاً أشبه بقريش من سائر العرب ذوقاً وأخلاقاً وتفاعلاً وتميزاً بعقليتها وأعرافها وسلوكها مع الأحداث.

الشيء الذي نعرفه حول وجود هذه الجالية في مثل هذه المنطقة التي هي جزء من أجزاء الوطن التركي في الوقت الحاضر ومنذ اتفاقية (لوزان) هو أن السيول التاريخية قد جرفتها من قلب الوطن العربي إلى هذه المنطقة في دفعتين.

أولاهما: أثناء الفتوحات الإسلامية في القرن الهجري الأول.

ثانيهما: عقب زحف جيوش موغول على بغداد عام 1258 م.

إذن فإن الانتعاش في الحقل الدراسي وانتشار المدارس والتطور الملحوظ في إعداد وتكييف المناهج التوجيهية، وخاصة الجهود المبذولة في نشر اللغة العربية على مدى هذه الساحة التي يتكون غالب سكانها من الأكراد، لم تكن يومئذ إلا نتيجة لدور هذه الجماعة وتفوقها النوعي في هذا النسيج الاجتماعي وحيويتها المنحدرة من أعماق التاريخ بالرغم من مضي تسعة قرون على رقادها.

إن هذه اليقظة التي دبت في مشاعر القبائل العربية[2] بالمنطقة الشرقية من المملكة العثمانية في تلك الفترة يجوز أن نعتبرها إحساساً بالثقة الذاتية وحناناً واشتياقاً إلى الأصل ومحاولات للعودة إلى الماضي السالف، غير أن هذه اليقظة لم تقتصر على الجالية العربية فقط، إنما أثارت في الوقت نفسه روح الإحساس بالوجود الذاتي للأغلبية الكردية القاطنة في المنطقة أيضاً، مما جعلهم يلتفون حول هذه العائلات العربية ويعتصمون بها في أزماتهم ويستلهمون منها الرأي الصائب لبناء مستقبلهم، وإن كان الأمر يومئذ يختلف طابعاً من الموقف الانشقاقي المتطرف الذي قد اتخذته اليوم قلة منهم لتمزيق الوطن التركي.

وقبل أن ننتقل إلى المرحلة التي نجد أنها أثمرت بعد هذه اليقظة بوجود جامعة تنافس الأزهر بمناهجها التربوية الغنية وقدرتها على إعطاء الشخصية القوية للطالب، نعم قبل ذلك يجدر بنا أن نعود ثانية إلى النسيج الاجتماعي الذي نلتقي فيه بجذور راسخة من الكيان العربي في هذه المنطقة التي كثير استغراب الباحث إلى حد كبير لأن هذه الجذور تتعتبر من أنقى عصارات الوجود العربي في العالم.

والعائلات الرئيسية العربية هي:

1 ـ العائلة البرزنجية:

انتشرت هذه الأسرة من القدم في القرى الواقعة ما بين مدينتين سِعْرِد وماردين على الساحة التركية وامتدادها من الساحة العراقية، بضواحي مدينة الموصل (نينوى) وهي عائلة عربية عريقة، نشأت فيها شخصيات وزعماء أقوياء من أمثال الشيخ عز الدين البرزنجي الذي قاوم قوات الاحتلال الانجليزي للأراضي العراقية سنة 1924 م وقد فتكت مخالب الدهر بأوصال هذه الأسرة العربية الهاشمية في السنين الأخيرة، وأحاطت بها الجمودية وتحولت إلى طابع كردي، بحيث لا يكاد أحد من أبنائها يعرف لغتها الأصلية في الوقت الحاضر إلا القاطنين منهم في العراق.

---

(2) إن هذه القبائل متكونة من عدة عائلات معروفة، غالبها مبعثر على امتداد جنوب شرق تركيا، ابتداء من مدينة (أورنا) إلى تخوم الأراضي الإيرانية.

2 ـ العائلة العيناكافية:

وهي الأسرة التي اشتهرت باسم الشيخ فتح الله العيناكافي في العهد الجمهوري.

سلكت هذه العائلة تقاليد الصوفية كبقية العائلات العربية الشهيرة في المنطقة، وهي من صغرياتها، وتحتفل بها القبائل الكردية المتنقلة من أهل البدو.

3 ـ أسرة الشيخ فقير الله العباسي:

هذه الأسرة منحدرة من سلالة عباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، كانت أسرة شهيرة حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي انتشر صيتها في المنطقة وتمتعت بمكانة مرموقة وتأثير واسع بين العشائر القاطنة في الشرق والجنوب.

فقد تعرضت هذه الأسرة إلى الشتات والانهيار من جراء الجهل المتفشي في صفوف أبنائها فالقلة التي لا تزال تتحدث بلهجة خليطة بين العربية والكردية من بقية هذه الأسرة تقيم في قرية يللو من ضواحي مدينة سعرد.

4 ـ أسرة الشيخ محمد الفرساني الهاشمي:

هذه الأسرة من أشهر العائلات العربية في المنطقة والمحافظة على كيانها العربي لاهتمام أبنائها باستخدام اللغة العربية في حياتهم اليومية والعمل على نشرها.

تؤكّد الروايات والأدلة الكتابية أن هذه الأسرة تتصل بالحسن بن علي بن أبي طالب، وقد نشأ بين أحضان هذه الأسرة شخصيات معروفة بالمعرفة والثقافة، بذلوا جهودهم في العمل على إزاحة ما قد استحدثت على حساب الدين الحنيف من بدع المتصوفة وخزعبلاتهم.

ولا يزال معظم أبنائها يتحدثون اللغة العربية حتى يومنا هذا.

5 ـ أسرة الشيخ موسى الخالدي:

الأمانات الكتابية التي نقلتها الأجيال إلى ورثة هذه الأسرة تشهد بأنها

متصلة بالصحابي سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه.

ويقيم أبناء هذه الأسرة في سعرد التي فتحها جدهم، ويتحدثون اللغة العربية، ولهم صلة متينة بأسرة الشيخ محمد الفرساني المبعثرة في هذه المدينة وضواحيها.

6 ـ عائلة الشيخ أحمد التيلاني:

نسبة إلى قرية تيلان القريبة من مدينة سعرد. هذه الأسرة معروفة باسم: (المشائخ القادرية) لانتمائهم للشيخ عبد القادر الجيلاني الصوفي نسباً ومشرباً.

لا يكاد أحد من أبناء هذه الأسرة ينطق اللغة العربية لاختلاطهم واحتكاكهم بالجماعة الملتفة بهم من الأكراد، غالبهم يسكنون في المناطق الجبلية الواقعة بين مدينتي سعرد وبنايس.

7 ـ أسرة الشيخ صبغة الله الخيراني:

يزعم بعض الناس أن هذه الأسرة هي من امتداد السلالة الحسينية.

نالت هذه العائلة توقيراً وتعظيماً من سكان المنطقة على مدى القرن التاسع عشر كمرجع روحي للعشائر الكردية القاطنة بسواحل بحيرة وان. ثم تورطت بمحاولات سياسية ساذجة ضد الحكم العثماني طعناً فيه على أنه مخالف لأحكام الشريعة الإسلامية مغترّة بطائفة من أتباعها المتعصبين، فلقيت نكالاً شديداً من الإدارة العثمانية وفرضت على بقية أبناء الأسرة الإقامة الجبرية في مدن غرب أناضول بعد تنفيذ حكم الإعدام على كبارها الأمر الذي غيّر الطبيعة الأصلية لهذه الأسرة تغييراً جذرياً وقضى على كل الملامح العربية والإسلامية فيها، حتى شاء القدر أن تتعاون هذه الأسرة يوماً من الأيام مع يهود سالونيك في مؤامرة القضاء على الإسلام.

8 ـ أسرة الشيخ محمد العمري:

هي عائلة عربية تدعى بأنها مسلسلة في صلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

يختلف اتجاه الرحلة الثانية التاريخية لهذه الأسرة عن بقية العائلات العربية، لأنها جاءت من بخارى واستقرت في قرية «ورتانس» بضواحي مدينة بتليسن هذه أيضاً من صغريات العائلات العربية المنتشرة في المنطقة، يسودها الآن طابع كرديّ، أبناؤها يتحدثون اللغة الكردية في حياتهم اليومية.

سلكت هذه الأسرة أيضاً تقاليد المتصوفة من التقشف والتطرفات السفسطائية كبقية العائلات المذكورة بتأثير عوامل اجتماعية، وعلى رأسها التستّر من العامة. وهناك عائلات عربية أخرى يستغني الأمر بعد هذا القدر عن التوسع في ذكرها، لكي أبادر بالرجوع إلى أصل موضوعنا الذي هو دراسة مسألة الجامعة الزهراء، وحتى لا نفقد الصلة بين لفائف الحديث المسترسل نحو هدفنا الحقيقي من هذه الدراسة.

بعد هذا القدر من التوضيح عن المنطقة يتبلور الأمر لنا بأن النهضة الثقافية والعلمية التي شهدها القرن التاسع عشر، لم تكن، إلا سراً مكنوناً لمقدرة هذا السواد العربي الخالص، فظهرت إلى العيان بظهور الدوافع التاريخية مع الأوساط المواتية له في هذه المرحلة.

هكذا يتلخص لنا ارتباط هذه النشاطات بالعوامل الاجتماعية السائدة في المنطقة.

أما العوامل المعنوية لهذه الحركة، فإنها لا تنحصر دون شك فيما إذا وصفناها بمجرد اليقظة للجماعات العربية، إحساساً بالحاجة إلى إحياء تراث الأمة فحسب. فإن هناك أسباباً عديدة قد لا يتجلى للباحث دورها وأهميتها في إثارة هذا الانطلاق لوقوعها موقع الدوافع الثانوية لهذه النهضة، كما لا يتبين بصفاء أن هذه الأسباب قد لعبت دوراً سلبياً في توجيه هذه الحركة وتطبيعها بعد الانبعاث بالقدر الذي كونت هي الطاقة الشاحنة للخطوة الأولى من هذه المسيرة، وهذا أمر في منتهى الغرابة، سوف يقودنا التحليل إلى معرفة حقيقته.

ولهذا فإن الأسباب المعنوية للنهضة العلمية يومئذ في منطقة شرق تركيا جديرة بالتأمل فيها لأنها في الحقيقة أحدث تشبه الانفجار المعبر عن صمود الإسلام، وعقيدته الحنيفية أمام تحدي النزعات المنبثقة من الفلسفة اليونانية

وأساطير اليهودية التي تراكمت في حاوية التاريخ ثم انحدرت إلى هذه المرحلة لتستولي على باطن المسلمين كما نجحت في الاستيلاء على ظاهرهم.

إلا أن هذه النهضة تحولت فيما بعد تحولاً خطراً عن الهدف الذي تصدت له فتكرر التاريخ كالعادة في نهاية المطاف، وذلك التحول يتمثل في مأساة ترتبط من جانب بالجامعة الزهراء.

فهذه المنطقة هي التي يسميها سكانها «كردستان» ـ أي وطن الأكراد ـ وكثيراً ما تثير هذه التسمية غضب الأوساط السياسية التركية، هذه المنطقة تعتبر من جهة الشمال امتداداً لساحة ذات أهمية كبيرة من الناحية التاريخية. وهي ساحة ميزوبوتاميا MEZOPOTAMIA التي يصفها المؤرخون بملتقى الحضارات للأمم السالفة من أمثال الكلدانيين والأشور والبابليين وغيرهم على امتداد الحقب التاريخية، ولذلك أصبحت في ذات الوقت ملتقى للثقافات المتنوعة بحكم توالي العديد من الأديان والمذاهب والتقاليد والأعراف على هذه الساحة.

وينبغي ألا نشك في أن بصمات التاريخ لا تمحى بسهولة عن وجه أي سطح أو مجتمع مرت عليها يده الجبارة، إلا أن هذه البصمات لا يندرج غالبها في القائمة البيضاء لحساب هذه الأمم.

وقلما يتخلص مجتمع من وبال أمة سبقته أو يحرم من نعمة استحقتها قبله، لهذا فإننا عندما نلقي النظر على هذه المنطقة نجد أن الأمم السالفة قد خلفت فيها أوساخاً من رسوبات عقائدها المضللة أكثر مما خلفت من القلاع المحصلة أو المدن المشيدة أو الصناعة المتقنة وأمثالها من آثار الحضارة البيضاء.

ومن مخلفات هذه المجتمعات المبادرة التي هي بمثابة قمامة التاريخ، كانت ولا تزال هناك جماعات وأقليات مختلفة الاتجاهات العقائدية من الصابئين والسريان والزيدية واليهود وطوائف النصارى بالإضافة إلى سالكي المذاهب الباطنية المتطرفة والمنشقة عن الإسلام، مثل النصيرية والدرزية وغيرها.

لقد كان الإسلام مهدداً إلى حد رهيب بتسرب أراجيف هذه الأقليات إلى معتقدات المسلمين في نهاية القرن الثامن عشر، بالرغم من كثرة المسلمين وتفوقهم على الصعيد السياسي.

إن هذا الضعف الاجتماعي المنحدر في قلب التاريخ الطارىء على المجتمع الإسلامي في هذه المرحلة أسفر عن صدمة معاكسة له وهي النهضة العلمية والثقافية التي شهدتها المنطقة، وأثبت المسلمون بها كفاءتهم لحمل المسؤولية التاريخية بالوقوف أمام مخاطر هذه المرحلة الحاسبة.

فمن خلال هذه اللمحة تتلخص لنا الأسباب المعنوية التي استُمدت منها ميزات هذه المرحلة ولا يفوتنا أن نشير إلى أن وجود الجامعة الزهراء هو ثمرة هذه النهضة العظيمة.

الجامعة

ولدت شقيقة للأزهر:

إن التاريخ الصحيح يشهد للمسلمين من العرب وغيرهم، ويسجل في صفحاته الذهبية ما قد وصلوا إليه من السمو الروحي والانتصارات والمجد والعزة والشموخ في المجالات السياسية والعسكرية وتنظيم الحياة الاجتماعية وتطبيق العدالة إلى آخر زاوية من الأطراف المترامية في أرضهم، لخبرتهم الواسعة وكفاءتهم الفائقة المنبثقة من القرآن الكريم، وتعاليمه الخالدة.

كما يشهد لهم أيضاً بأنهم أول أمة أقامت مراكز علمية ضخمة بكل المعنى الذي يراد به من مصطلح «الجامعة» والذي يطابق مصطلح: UNIVERSITY الموضوع لنفس المعنى في المصادر العربية، مثل جامعة الأزهر الشهير بالقاهرة التي كانت منذ إقامتها مفخرة من مفاخر المسلمين، وسنداً قوياً ودليلاً واضحاً على ما قد ألهمهم كتابهم ودينهم من التمسك بأسباب العلم والمعرفة وشجعهم على تحقيق المزيد من الانجازات في مختلف اختصاصات المعارف والفنون.

فبرغم ذلك التاريخ الآثم الذي يشوه الحقائق ويحاول دائماً أن ينتصر للمتمردين على الإسلام ويطمس من خلال صفحاته السوداء معالم هذا الدين العظيم ومؤسساته العلمية وإنجازاته المجيدة الخالدة، ورغم أنف أولئك المذنبين الذين يحاكون هذا التاريخ الأسود بأقلامهم المسمومة، فإني أعلن هنا بأن الجامعة الزهراء (التي نحن بصددها في هذه الدراسة) قد سجلها التاريخ سنة 1202 من الهجرة، نعم تشرف تاريخ الحياة العلمية بمنشأ هذه الجامعة الجليلة التي برزت

إلى حيز الوجود لتنافس شقيقها الأزهر، أو بالأخرى لتصبح متممة له في إحياء التراث الإسلامي الأصيل، وتحقيق المنظور القرآني للبشرية، بالانسجام مع خصوصيات هذا العصر وتطورات المستقبل.

نعم أشرقت شمس الإسلام بعد حقبة مظلمة بمنشأ هذه الجامعة في المنطقة، فبدأت الجامعة ببث أزاهير العلم الإسلامي على الناشئة المسلمة وتنوير عقلها وتدريبها على متطلبات هذا القرن، وتحميلها المسؤولية التاريخية أمام القوى المتحدية للإسلام والمتنكرة هذه المرّة في أشكال وأساليب تختلف عن كل الأساليب المجربة في القرون السالفة.

إن هذه الجامعة الجليلة التي لا يكاد يعرف اسمها اليوم (حتى الكثيرون من أبناء المنطقة) للأسف الشديد (وستذكر الأسباب)، فضلاً عن بقية المسلمين في العالم، هذه الجامعة خرقت ظلمات القرن التاسع عشر رامزة إلى الطاقة المعنوية للمسلمين التي استمدوها منها في هذه المرحلة الحساسة ووقفوا صامدين بها أمام زحف المستعمرين وغطرستهم التي لم يعلم بها يومئذ أكثر أقاليم العالم الإسلامي.

إذن فإن عام 1203 هـ باعتباره العام الذي يقترن بانبلاج النهضة العلمية التي تتمثل في وجود الجامعة الزهراء، يرمز للمسلمين بإقليم (كردستان) إلى نقطة تحول من الركود نحو النشاط، ومن الوقوف إلى الانطلاق نحو مرحلة جديدة تدخل في سجل التاريخ بميزاتها الخاصة.

الأيدي التي صنعت هذه الجامعة:

لا شك في أن كل الانجازات والانتصارات المادية والمعنوية التي اكتسبها المسلمون على امتداد المراحل التاريخية وتطوراتها أشكال عديدة من مواهب المسلمين، ونتائج بارعة لقدرتهم المستمدة من القرآن.

فقد مرت بالمسلمين فترات عصبية وحلت بهم كوراث عديدة، كاد أن يضمحل بها الإسلام بكل معالمه وآثاره إلا أن الصفات الراسخة في طينة الإنسان المسلم استطاعت أن تخبط كافة أشكال الدسائس التي مارستها المجتمعات الكافرة ضد قيم المسلمين بين الفينة والأخرى، ومتى وجدت هذه الروح ـ الزاكية الراسخة في جبلتهم ـ الفرصة السانحة لها انطلقت وأدت رسالتها من جديد.

فهذه الجامعة الزهراء ثمرة من ثمار هذه الروح الزكية، وإنها لصيغة الأيدي المؤمنة ومشروع مجسد للتصور الإسلامي الخالد، فهي بخلاف الجامعات المعاصرة لم تحصرها مجمعات من الأبنية المشيدة الضخمة ولم تطوقها أسوار ذات بوابات يزحف إليها آلاف الطلبة الذين لا تتجاوز غايتهم المتوخاة الارتقاء إلى الصف التالي، وتحقيق أحلام المستقبل الزاهر، المستقبل الذي كله متعة وابتهاج وانهماك في إشباع النفس النهمة بأصناف الملذات.

لكن هذه الجامعة كانت عبارة عن حجرات متواضعة ومبعثرة في القرى المنتشرة بأنحاء هذه المنطقة فكل حجرة منها كانت لصيقة بمسجد القرية في الغالب وكانت بمثابة كلية من كليات هذه الجامعة.

وابتداء من عام 1203 هـ انتشرت هذه الحجرات بقرى المنطقة ومدنها بعناية من الشيخ خالد البغدادي وجماعة من العلماء المنتسبين إليه، وعلى رأسهم الشيخ أحمد الخاني، ولهذا السبب سميت هذه المثابات العلمية بـ (المدارس الخالدية) طوال قرن كامل لم يكن اسم الجامعة الزهراء في كل هذه المدة شيئاً مذكوراً.

أما الشيخ خالد البغدادي رحمه الله، فإنه كان عالماً جليلاً فلكياً ملماً بعلوم مختلفة كالحساب والهندسة وطب النفس والروح، فضلاً عن معلوماته الواسعة وباعه الطويل في الفقه الإسلامي والفلسفة والشعر والأدب، له آثار جليلة تدل على شخصيته القوية وذكائه الوقاد ودرايته الحادة، ومعارفه المتبحرة مما زرع في نفوس مئات الآلاف من شباب المسلمين شوقاً متوقداً ورغبة متصاعدة نحو هذه الحجرات ونحو الدخول إلى بيئتها النيرة الخضراء.

إن المدارس الخالدية التي كانت كل منها تشكل خلية هامة لهذه النهضة وتعمل دوراً حيوياً على الصعيد الثقافي والتوجيهي للسواد المسلم بالمنطقة في بداية أمرها وإلى مرحلة معينة عالجت جوانب كثيرة من مشكلة (النظرية القرآنية) وأثرها في حل المفاهيم الجديدة للعصر واهتمت بتربية الجانب الروحي للمجتمع المسلم وتصحيح عقيدته بمكافحة البدع والإسرائيليات وأساطير المسيحية التي تسربت إلى معتقدات المسلمين في العهد المظلم.

ولكي نستوفي حقوق البقية من الأيدي التي صنعت هذه الجامعة العظيمة،

يجب أن نعترف بجهود العائلات العربية التي مرت الإشارة إليها، لأنها في الحقيقة هي المصدر الأساسي الذي كون الطاقة الحيوية لاستمرار النشاط العلمي والدراسي في هذه الحجرات بعد الشيخ خالد البغدادي وتلامذته.

فإن هذه المثابات العلمية المبعثرة في إطار مثلث ما بين دمشق ومدينة خاربوت العزيزية شمالاً (الواقعة في أواسط تركيا) وإلى مدينة أرض الروم (بأقصى شرقها) كانت هي اللبنات الأولى التي انتظمت على يد هذه العائلات في سلك واحد، ودخلت فيما بعد إلى محيط الجامعة الزهراء.

الفترات الزمنية التي مرت بها الجامعة:

فترة الإنطلاق:

هذه الفترة التي تبدأ من عام 1203 هـ تتميز بمحاولات التخلص من الجمود، واستيقاظ المشاعر إلى إحياء القيم المطموسة، فهي مرحلة كفاح متزن، أثمر بتحقيق أعظم الأهداف السامية، ألا وهي تطهير المسالك الإيمانية من خرافيات الباطنية ومخلفات الوثنية الفتاكة لعقيدة التوحيد الأصلية عن طريق هذه المثابة العلمية.

هذه الفترة التي يجوز أن نعبر عنها بمرحلة آمال زاهرة، كانت قصيرة جداً للأسف الشديد، وهي لا تتجاوز 40 سنة لأن هذه الآمال سرعان ما فوجئت باستحالة سريعة نتيجة ظهور النزعات التقشفية والسفسطائية بين طائفة رجال الدين الذين كانوا يتزعمون النشاطات العلمية والتوجيهية في هذه المثابات يومئذ، كما كانوا يشكلون سلطة روحية ذات تأثير أكبر من السلطة المحلية للإدارة العثمانية على هذه المقاطعة.

مرحلة النكسة، والعودة إلى الطريقة التقليدية:

إن جميع الباحثين ومن لهم الخبرة بالتاريخ يعلمون بكل وضوح أن الظلمة التي أرخت سدولها على المسلمين ابتداء من أواسط القرن الثالث الهجري، وعرقلتهم عن تحقيق الأماني القرآنية، وجردتهم من الوعي بالحقائق، وأعمتهم عن درك ما يرشد إليه الكتاب الإلهي من أسباب الرقي والتقدم والازدهار، لم تكن إلا نتيجة انحرافهم

عن الأخذ بالمعاني الصحيحة البينة لهذا الكتاب العظيم، واتباعهم للخرافات من مختلف الديانات البائدة ورسوباتها المضللة.

فقد كانت المناهج التعليمية في القرون الوسطى تستهدف إماتة الغرائز الإنسانية، وتدرب النفس على التقشف واستحقار الحياة الشاعرة، والخضوع الأعمى.

هذا، ومن الغريب أن المنطقة بعد أن أشرق عليها بصيص الهداية إلى التوحيد الخالص والثقة والعزيمة بانتشار المدارس الخالدية فيها أدركت مرحلة سوداء من جديد تكاد هذه الفترة الزمنية تكون أشبه بالقرون الوسطى بما شاعت فيها من القيم الرجعية والمناهج التعليمية المختلفة، وهيمن الضعف واليأس على الفنون.

هذه الفترة وقعت على تاريخ المنطقة ـ سواء من الناحية التعليمية وغيرها ـ كنقطة سوداء من منتصف القرن التاسع عشر حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى:

وإن هذا الوضع الرهيب لم يكن في الحقيقة هو الحالة السائدة على هذه المنطقة فحسب، بل كان حالة تشمل كافة المناطق والأقاليم من العالم الإسلامي مما جعله فريسة للدولة الغربية فوثبت عليه في النهاية وفككت أوصاله.

الغاية التي نريد أن نستخلصها من واقع هذه المرحلة بالرغم من سلبياتها هي أن الدوافع التي شجعت النفوس الشاعرة بالمسؤولية التاريخية أن تقوم بتأسيس جامعة علمية فريدة من نوعها في مثل هذا الوسط المظلم، لا شك أنها قد توفرت في ظروف هذه المرحلة نفسها، ولا غرابة في ذلك، لأن الضغوط السافرة عن عوامل هذه الفترة وتعاليمها الخرافية أصبحت هي الظاهرة البشعة التي فجرت عبوة الإيمان الصادق لفئة قليلة من أبناء المنطقة الذين وجدوا في أنفسهم الكفاءة والقدرة على مقاومة (بابوات الأساطير) وخرافاتهم وخزعبلاتهم التي كانت قد أوقعت الشلل في وعي المسلمين من سكان المنطقة وأورثتهم شخصية هزيلة ضامرة، وألبست عليهم الحقائق الإسلامية بصبغة مفاهيم الشرك والوثنية والضلال.

نستطيع أن نجزم بأن هذه المرحلة السوداء قد انتهت بانتهاء القرن التاسع عشر، ولكن ظروف القرن العشرين التي صبت الويلات على الأمة الإسلامية بأجمعها لم تكن أفضل من ظروف القرن السالف بالنسبة لرواد المعارف الإسلامية الذين

أعلنوا تسميتهم لهذه الجامعة بـ(الزهراء) في مستهل هذا القرن، بسبب معاناتهم لشدائده من الحروب الدامية والغزوات الثقافية والمذابح والاضطهاد.

مرحلة الصراع المرير:

يناسب المقام هنا أن نقول بأن الجامعة سميت (الزهراء) في بداية هذه المرحلة، وهي بداية القرن العشرين في نفس الوقت، ويعود الفضل في تسمية هذه الجامعة إلى العالم المناضل، سعيد النورسي الكردي رحمه الله تعالى (1960 م) الذي ناداه الناس «بديع الزمان» في كل حياته وبعد مماته، تلميحاً إلى المواهب التي اشتهر بها بين أقرانه.

لقد كانت ظروف السنين الأولى من هذا العصر ساحقة بكل القيم والمثل العليا من جراء الفوضوية السائدة على البشرية بأجمعها، وخاصة فإن العالم الإسلامي كان يومئذ معرضاً للخطر بشتى أنواعه بل كان مصطدماً من جميع الجهات بالكوارث والنكسات والمصائب في الداخل والخارج.

لذا فإن النتائج السافرة عن هذه الظروف الرهيبة المحيطة بالمسلمين أجبرتهم أن يشمروا عن ساعد الجد ويتخذوا مواقف حماسية لمقاومة القوى المتكالبة عليهم من كل صوب.

إن الجامعة الزهراء بمثاباتها العلمية المنتشرة على أنحاء المنطقة كانت ـ في هذه الظروف ـ معقلاً من معاقل الجهاد الإسلامي ضد الغزو الثقافي وبدع المتصوفة وهرطقة الزنادقة والخرافيات اليهودية والجهل والعمى لذلك فإنها كانت من أهم المراكز العلمية التي أضمرت لها الصهيونية دائماً، ودبرت الخطط لاكتساحها واستئصالها مدى العهد الجمهوري في تركيا.

إن هذه المرحلة بالنسبة للجامعة الزهراء هي مرحلة الصراع المرير في شتى الجبهات وفي شتى الميادين، وسنذكر الجوانب الهامة من هذا الصراع العنيف بقدر ما يسمح لنا المقام:

لقد كانت الدولة العثمانية على شفير من الانهيار في بداية القرن العشرين (وعلى حد تعبير القيصر الروسي) فإن (الرجل المريض) كان يلفظ أنفاسه الأخيرة، أما سكان

المنطقة المكونة من الأكراد والأقلية العربية، والجاليات التركية، فهنهم لم يملكوا شيئاً من الذخيرة والعتاد والمؤن ليدفعوا بها عن أنفسهم داهية الزحف الروسي من جهة، كما وأن هذه الظروف القاسية التي التفت بخناقهم، كانت تشغلهم عن الانتباه إلى مخططات اليهود الذين أتاحت لهم فرصة العمر خلال هذا الوسط المظلم أن يقوموا بحياكة المؤامرات ضدهم من الداخل.

إن شر اليهود كان أشد وأنكى على هذه المنطقة من الاستيلاء الروسي، ومن المجاعة التي ازداد عدد ضحاياها على مئات الألوف في مدة خمس سنوات بالإضافة إلى كل أشكال المآسي والمحن التي تعرضت لها منطقة (كردستان) من جرائها.

لأن الطائفة السبطائية SABATAISTES من اليهود التي لجأت إلى الدولة العثمانية في منتصف القرن السابع عشر الميلادي نتيجة الاضطهاد الذي تعرضت له من تصرفات محاكم التفتيش الأسبانية أصبحت في هذا الوطن الجديد هي المصيبة الكبرى والبلبلة العظمى، وهددت الكيان الإسلامي في تركيا، حيث إن هذه الطائفة المسماة الآن بـ (يهود سالونيك) أو (اليهود الدنما) كانت قد أعلنت إسلامها مكاء وتصدية في عهد السلطان محمد الصياد العثماني AWJI SULTAN MOHAMMED أي قبل ثلاثة قرون وبذلك استطاعت أن تتسرب إلى صفوف المسلمين الأتراك لتقيم أمامهم العقبات، وتسلط عليهم البلبلة، وتزرع بينهم الفتنة والشقاق، فتعرض الإسلام بعد ذلك في تركيا إلى أخطر الكوارث إلى يومنا هذا، وربما حتى يوم القيامة لأن هذه الطائفة الخبيثة دبرت أكبر الخطط شمولاً وخطورة على الإسلام والمسلمين، لم يشهد مثلها التاريخ، حتى أفردت في هذا الموضوع كتب ضخمة من قبل الباحثين.

إن الجامعة الزهراء تعرضت لخطر يهود سالونيك بطرق غير مباشرة في آواخر العهد العثماني، وكذلك مدى العهد الجمهوري كجميع المؤسسات العلمية والاجتماعية والاقتصادية في البلاد، وذلك بما أن اليهود السبطائيين كانوا يشغلون مناصب هامة في قلب الحكومات التركية قبل الجمهورية وبعدها مثل مدحت باشا، وجاويد بك، وحسن علي يوجيل وكثير غيرهم بالإضافة إلى سلطتهم الدعائية وسيطرتهم على كافة أجهزة الإعلام والمؤسسات الاقتصادية، وذلك لانتحالهم الشخصية المزورة وتنكرهم بالإسلام والقومية التركية وتظاهرهم الاصطناعي بالحماسة

الوطنية وغيرها من أخبث أشكال الحيل والمكر والخداع...

كلهم كانوا (ولا يزالون) يحملونِ الأسماء العربية الإسلامية مثل محمد وأحمد ومصطفى وعلي وغيرها مع أنهم لا يبرحون متمسكين أشد التمسك باليهودية في بيوتهم ويعضون عليها بالنواجذ، ويقيمون طقوس الديانة اليهودية فيها، ويتداولون العبرية في خلائهم (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) هكذا هم شرار... يهود بالليل ومسلمون بالنهار.

إن هؤلاء الأشقياء كانوا يعملون وهم متأكدون من أن الجامعة الزهراء هي المصدر الغزير الذي سوف يهب الحياة لسكان المنطقة بالغيث المدرار من العلوم والمعارف مما نبههم إلى الأخطار الحديثة التي بدأت تهدد وجودهم المادي والمعنوي مثل الرأسمالية والشيوعية والعنصرية وما ينتج عن ذلك من أسباب الانهيار الخلقي من الإسراف والمجون والدعارة والإباحية والإلحاد وغيرها، كما كانوا متأكدين من أن الجامعة تنفخ في سكان هذه المنطقة روحاً جديدة يكسبون بها الكفاية لاستقبال مواهب العصر الجديد من التطورات العلمية والحضارية والمفاهيم الحديثة التي ستقوم عليها العدالة الاجتماعية وتفسير الإسلام المعاصر.

إن الجامعة كانت قد أثبتت صلاحيتها بصورة فعلية لتعليم المقومات العالية والضرورية لتكوين المجتمع الإسلامي المعاصر، إن الطليعة الأولى من أشبال هذه الجامعة، بسلوكها الرفيع ومواهبها النبيلة، تكفي لإعطاء الصورة الواقعية عنها دون حاجة ما إلى دليل آخر.

فجميع زعماء «الميليشيات» الذين ضربوا أمثلة رائعة في البطولة والبسالة والاقتداء لصد الحملات الروسية على أرض تركيا من عام 1914 م حتى 1918 م هم من ثمرة هذه الجامعة الجليلة.

لذلك فإن يهود سالونيك استمروا في تنفيذ مخططاتهم ومؤامراتهم الشيطانية ضد الجامعة الزهراء من غير هوادة في العهد العثماني وفي العهد الجمهوري على السواء وأسفرت هذه المؤامرات عن ظروف عصبية عانت منها الجامعة مدى سبعين عاماً حتى قضت مشيئة الله أن تأخذ مكانها الشريف بين أحضان التاريخ في نهاية الستينات وتتلخص نتائج هذا العدوان ليهود سالونيك ضد الجامعة في عدة نقاط هامة هي:

أولاً: لما عرفوا أنه من الصعب التسرب إلى صفوف الطلبة بالجامعة الزهراء، لوجود عقبات عديدة أمامهم، أهمها أن الطابع التنظيمي والتكوين الاجتماعي لطلبة الجامعة لم يسمح بنجاح التزوير في الشخصية، خاصة وأن اليهود السبطائيين كانوا متأثرين بالبيئة السائدة في المدن الرئيسية مثل اسطنبول وإزمير التي اتخذوا منها المقر منذ هجراتهم في القرن السابع عشر الميلادي مما جعل من المستحيل أن يتسللوا إلى الجامعة بالطرق المباشرة، لهذا السبب وبفضل سيطرتهم على اقتصاد البلد استغنوا أن يرهقوا أنفسهم، وحتى لا يكلفهم الأمر خسارة الأرواح وسوء السمعة استخدموا بطانتهم من اليزيدية والأرمن في مذابح وحشية ضد الطلبة بالجامعة، ذلك لأن اليزيدية طائفة بدائية من أخبث المجتمعات الوثنية، يسكنون بالمنطقة ما بين مدينتي سعرد وماردين، وهي جزء من المنطقة التي انتشرت فيها المثابات العلمية للجامعة، وبما أن من أهم معتقدات هذه الطائفة الخبيثة أنهم يعبدون الشيطان ويرون قتل طلبة العلم من أسباب السعادة والخلود الأبدي والنعيم السرمدي بعد الموت، استغلهم اليهود في شن حملات إجرامية على الجامعة الزهراء فكانوا يداهمون مثاباتها الواقعة في المناطق الجبلية بين الفينة والأخرى، ويختطفون الشباب الدارسين فيها ويقتلونهم كلما أتاحت لهم الفرصة، وقد استشهد مئات من طلبة هذه الجامعة على يد هؤلاء المجرمين الكفار وسقيت المنطقة بدمائها الطاهرة من عام 1919 م حتى عام 1924 م وحيث إن الإدارة المحلية لم تتمكن من السيطرة على هذه الطائفة فإنهم كانوا (ولا يزالون) من أعظم المخاطر على طلبة العلم في كل زمان ومكان.

ثانياً: بعد أن تمكنت هذه الشرذمة اليهودية المنافقة من التسلل إلى صفوف أول حكومة للجمهورية التركية وبأكثرية ساحقة حصلوا على إمكانيات واسعة ليواصلوا دسائسهم ضد ما قد تبقى من معالم الإسلام في الشعب التركي والأقليات المسلمة في تركيا، وأن يقوموا بالقضاء النهائي على الجامعة الزهراء بطرق غير مباشرة دون أن يرهقوا أنفسهم. وفور إعلان النظام الجمهوري أصدرت الحكومة قانوناً بعنوان (قانون النظام الدراسي الموحّد رقم: 1926/430 م) نص هذا القانون على إلغاء المدارس والجامعات ذات الطابع الإسلامي والقائمة على أسس الدراسة باللغة العربية.

ثم بدأ صراع عنيف بعد هذا الأمر السافر بين يهود سالونيك وبين الجامعة الزهراء استمر أكثر من نصف قرن ومن أهم الأحداث التي تعاقبت مدى هذا الصراع المرير هو الاضطهاد والمظالم التي تعرض لها العلماء والأساتذة لهذه الجامعة، وعلى رأسهم الإمام المناضل سعيد النورسي المؤسس الثاني لهذه الجامعة طوال خمسين عاماً بالحكم عليهم بين السجن تارة وبين النفي تارة أخرى. هذا بالإضافة إلى إتلاف عشرات الألوف من الكتب القيمة ذات الأهمية التاريخية والعلمية. وتعتبر هذه الجريمة من أعظم الجرائم التاريخية التي ارتكبتها الأنظمة والأيدي الشريرة ضد العلم والقيم المعنوية بعد جيش هولاكو الزاحف على بغداد سنة 1258 م.

الجامعة الزهراء بمناهجها التربوية الرائدة كانت عقبة رهيبة أمام الصهيونية

لقد كانت الصهيونية منذ نشوب فتنتها في أرجاء المملكة العثمانية، كانت تصطدم بعقبات كبيرة تمنعها من تحقيق آمالها في الفترة التي هددتها وجزمت بأن نجاح آمالها رهين بتنفيذ ما يرتبط بهذه الفترة من الخطط والمؤامرات، فمن كبريات هذه العقبات بل إن المصدر الرئيسي لكافة الأسباب التي كانت الصهيونية تنظر إليها بعين الفزع والتوتر أمام تطلعاتها وأمانيها في منطقة شرق تركيا، هو وجود الجامعة الزهراء، فلا شك في أنه كانت هناك منذ القديم عدة صلات تربط الشعب التركي بالشعب العربي اللذين يكونان جزءً كبيراً من الأمة الإسلامية، كما لا شك أن أقوى هذه الصلات ومصدرها كانت وحدة الدين ثم ارتباط الشعب التركي بهذا الدين عن طريق اللغة العربية التي كانت في نفس الوقت هي الرابطة الثانية بين الشعب التركي والأمة العربية.

فانطلاقاً من هذه الحقيقة، نجد محاولات اليهود ضد هذه الأمة تكمن أساساً في ضرب هذين العنصرين الدين واللغة العربية ولما كانت الجامعة الزهراء قلعة من قلاع اللغة العربية في منطقة شرق تركيا استوجبت الصهيونية على نفسها أن توجه قصفها إلى قلب هذه الجامعة قبل كل مناهضة كانت تقتضيها الاستراتيجية اليهودية لاستئصال الإسلام في هذه المنطقة.

ولكي يتعرف القارىء الكريم على مدى الطاقة المتفوقة لهذه الجامعة في حقل المعارف العربية، يجدر بنا إلقاء نظرة على المناهج التربوية للجامعة فيما يتعلق بدراسة اللغة العربية بالقدر المناسب.

لقد سبقت الإشارة فيما سبق إلى أن الجامعة الزهراء لم تكن صرحاً مشيداً من المباني ذات الأبراج العالية على الطريقة المتعارفة بالنسبة للجامعات المعاصرة التي تتحدى القلاع بعظمة هياكلها، وتحاكي جحافل النمل الأحمر بجماهير طلابها المزدحمة «مما يلاحظ أن يكون ظاهرها خيراً من باطنها». وإنما كانت عبارة عن مثابات علمية متواضعة انتشرت على المدن والقرى الواقعة بمنطقة شرق تركيا، وكان يرتبط بعضها ببعض في إطار مبادىء عرفية شاملة أقوى من أن تكون قوانين رسمية بحتة قاسية، وبالأحرى فإنها كانت جامعة شعبية، منبثقة من إرادة الشعب، وأمانة في ذمته ورمزاً لكيانه الإسلامي الراسخ.

بيد أننا نضطر من الجانب الواقعي أن نعترف بوجود فروق بين المناهج الدراسية في التطبيق من مثابة إلى أخرى وإنما تطرقنا إلى هذه النقطة حرصاً على إعطا الصورة الحقيقية للجامعة ككل مع ضرورة الإشارة إلى أن الجانب السلبي في حقل التدريس ظل تافهاً على امتداد قيام الجامعة حتى النهاية. وبالتحديد فإن هذه السلبيات كانت ناشئة عن متابعة الأساليب التقليدية في المثابات المنتشرة على شرق المنطقة وشمالها فقط. وهذا يعتبر أمراً استثنائياً لأسباب منها: أن جميع الأساتذة القائمين بمهمة التدريس في هذه المثابات كانوا من عناصر كردية، فل تتوفر فيهم أذواق الإنسان العربي المثقف حتى تساعدهم على الأخذ بطرق التدريس المثلىٰ والمتبعة في المثابات الجنوبية على نمط المناهج الحديثة والمطبقة في البلاد العربية.

ومن هذه المستثنيات: أن أصول الدراسة في تلك المثابات كانت مبنية على حفظ متون القواعد بصورة عفوية مثل ألفية بن مالك، والأنموذج المسند إلى الزمخشري وغيرها مما كان يستوعب معظم أوقات الطالب ولم يترك له الفرصة ليستغلها في تنمية استعداداته الفطرية وتطوير غرائزه الطبيعية وتوجيه طاقاته الفكرية والثقافية فيما هو أصلح له، إلا أن هذه الحالة كانت قاصرة على مجموعة صغيرة من المثابات.

لقد كانت المواد والمقررات التربوية للجامعة مستمدة من التراث الأصيل في حقل الدراسات الإسلامية واللغة العربية على السواء حتى إن معظم الكتب الخاصة بالمراحل الدراسية العليا كانت تتكون من مؤلفات العباقرة وأساطير اللغة العربية الذين أصبحت اليوم آثارهم من أقوى المراجع العلمية التي يستنبط منها الباحثون ويرجع إليها العلماء كما أنها تعتبر من أقيم جوانب التراث التاريخية والعلمية التي خلفها أولئك العباقرة من أمثال: الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي والعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري، وعبد الرحمن نور الدين الجامي وغيرهم، بالإضافة إلى أن طريقة الاستدلال في حل معضلات التركيب كانت معتمدة على الشواهد المنقولة من آثار النوابغ وآراء القدامى من أئمة النحو المشهورين بوضع قوانين الإعراب من أمثال أبي الأسود الأولى وابن عمرو بن العلاء والخليل الزاهيدي والفرزدق والكسائي وسيبويه والأخفش وابن جنى وغيرهم.

صحيح أن المناهج المطبقة في بعض كلياتها كانت تحتاج (إلى حد معين) من التطوير والتعديل نظراً إلى أنها كانت تقليدية بكتبها المطولة وشروحها المملة للأذهان لبعد غاياتها واستقصاء المسائل فيها، إلا أن هذه المناهج كانت في نفس الوقت مستوحاة من طريقة المحققين ومستمدة من آثارهم المعروفة بشمول بحوثها وقوة الحجة في أسلوب تفصيلاتها وعمق تحليلاتها، وعلى سبيل المثال فإن كتاب حل المقاعد الذي يعدّ من أبرز الكتب الجامعية المنافسة لمؤلفات السابقين واللاحقين في ميدان علوم القواعد يقدم في باب من مباحثه نموذجاً من أدق مسائل القياس بين كل من (البدل) و(عطف البيان)، ويبين الفروق التي يتميز كل منها عن الآخر بأسلوب متين يلقي به الطالب منشوده لوفرة ما يسجل من جزئيات هذه المسألة وضوابطها.

وكذلك استحسنت أن أورد مثالاً آخر في كتاب شرح المغنى وهو من الكتب المقررة بالمرحلة الثانوية في هذه الجامعة ذلك أن مصنف هذا الكتاب قد اعتنى بذكر موانع الصرف ضمن أبيات (من البسيط)[3] تكاد تكون أفضل حصراً وأبلغ تعبيراً وأحسن توضيحاً لهذه المسألة النحوية، وهي:

---

(3) البسيط: بحر من أبحر العروض (وستة عشر بحراً) ووزنه: مستفعلن فعلن مستفعلن فعل.

موانع الصرف تسع كلما اجتمعت اثنتان منها فما للصرف تصويب
عدل وصف وتأنيث ومعرفة وعجمة ثم جمع ثم تركيب
والنون زائدة من قبلها ألف ووزن فعل وهذا القول تقريب
كذاك واحدة قامت مقامها الجمع وألفا التأنيث تجويب

إن اللغة العربية كانت محوراً أساسياً للفلسفة التربوية بالجامعة الزهراء نظراً إلى أنها ركن من أعظم الأركان العلمية للقاعدة التي نسقت عليها جميع أصناف العلوم الإسلامية ولهذا السبب الهام فإن قوى الصهيونية في تركيا لم تتجاهل يوماً من الأيام هذه الحقيقة بحيث جعلت نصب عينها أن تكثف ضرباتها القاصمة على هذا الركن العظيم دون رحمة أو توقف وربما كانت الصهيونية على علم أكثر من المسلمين الأتراك بأن اللغة العربية هي بمثابة أكسير الحياة للإسلام وعلومه وأدابه ومؤسساته، وإنه لا يمكن التعبير عن عظمة الإسلام ومقوماته وتعاليمه الخالدة، إلا بتلك الروح السحرية الكامنة في اللغة العربية كما كانت على يقين أيضاً بأن اللغة العربية هي العروة الفولاذية التي يتمسك بها جميع الشعوب المسلمة بالرغم من اختلاف لغاتها المحلية بما لهذه اللغة من الدور الهام في ربط بعضهم ببعض وبما لهم من الاهتمام البالغ بها من تقديس وتدريس واشتياق وشغف.

إن العقبة الكبرى التي لم يستطع يهود سالونيك أن يقتحموها ليقضوا على اللغة العربية في المنطقة الشرقية كانت هي الجامعة الزهراء لأن القانون الصادر سنة 1926 م بمنع تدريس اللغة العربية والذي لا يزال معمولاً به لم يحقق قسطاً كبيراً من آمال اليهود، ولأن الجامعة استمرت في مسيرتها خمسين عاماً آخر تقريباً) بعد صدور هذا القانون. إلا أن المشكلة انتهت بالنسبة لأعداء اللغة العربية بانتهاء الجامعة الزهراء نتيجة دسائسهم ومؤامراتهم الرهيبة التي دبروها بشتى الوسائل وبدون انقطاع.

المأساة في العهد الجمهوري والصمود إلى النفس الأخير:

يجب الاعتراف بالتفوق اليهودي في فنون ووضع الخطط والمؤامرات ضد الشعوب وقيمها، وخاصة ضد الإسلام والمسلمين بكل معنى (الاستراتيجية).

إن اليهود قد اكتشفوا منذ القديم بأن القضاء على أية أمة لا يمكن إلا بالقضاء على قوتها الروحية ونظمها الأخلاقية والاجتماعية.

إلا أن أساليب القضاء على القيم المعنوية تختلف كل الاختلاف عن أساليب الحرب الساخنة، لذلك فإن سرّ نجاح اليهود في محاربة كثير من الشعوب يكمن في خبرتهم للتمييز بين هذين الأمرين، وهذا هو السرّ الذي انتصرت به الطائفة اليهودية المتنكرة بالصبغة التركية ـ الإسلامية على الشعب التركي منذ ثلاثة قرون، فقد ضرب يهود سالونيك مثالاً في النفاق الرهيب في هذه المحاولة التي بهرت العقول.

إن الجامعة الزهراء كانت هي القوة المحركة لمشاعر المجتمع المسلم، وانتباهه إلى ما يحيق به من خطر هذه الطائفة المنافقة، ولهذا فإنها أصبحت هدفاً من الأهداف الرئيسية للحملات اليهودية الغاشمة أكثر من مثيلاتها من مؤسسات التربية والتوجيه.

لقد كانت الطائفة اليهودية السبطائية قد ركزت جودها منذ أن استلمت المهمة من جدها (سبطاي زيفي) المنافق في منتصف القرن السابع عشر، وبذلت جهودها لتعبث بالقيم الإسلامية حتى تتمكن من إفصام العرى التي تربط الشعب التركي بالمجتمعات المسلمة في العالم. فتهوى به إلى منزلة الخضوع للآمال اليهودية، ولم تنجح في هذه المؤامرة إلى حد كبير حتى آواخر العهد العثماني.

وما أن وثبت هذه الطائفة على السلطة في العهد الجمهوري حتى بادرت بإصدار (قانون النظام الدراسي الموحد) مستهدفة بذلك الحلول إلى القطاع التعليمي الذي من شأنه تمهيد سبل العبث بمقومات الوجود المعنوي للشعب وتدمير قيمه الروحية حتى يصبح انهياره من السهل في أمد قريب.

أما الجامعة الزهراء فكانت بمثابة ضمان قوى للمحافظة على قيم الشعب المسلم في تركيا. وكانت تسلك اتجاهاً منسجماً مع واقع العصر ممهدة للطالبين سبل تحقيق الطموحات والتطلعات الحضارية الإسلامية الخالدة، بالإضافة إلى أنها كانت تمهد سبل التلاقي في المستقبل القريب بين تركيا والبلاد العربية والإسلامية

بإعداد جيل مثقف خبير باللغة العربية والمعارف الإسلامية.

لذلك فإن انتهاء الجامعة الزهراء أسفر عن فجوة كبيرة في مجال الثقافة الإسلامية، ومن النتائج الخاسرة لهذا الحدث أن الجناح الشعبي الذي طالما يخلص للإسلام ويواصل صراعه مع التيارات الصهيونية المهيمنة على الحكومات، قد بدأ يعاني من قلة العناصر ذات الخبرة باللغة العربية في هذه السنين الأخيرة. وظهرت الخطورة عندما بدأ الحوار بين تركيا والبلاد العربية بعد السبعينات، وبلغ الأمر إلى حد مخجل أثناء تبادل العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع هذه الدول، وهذه الخسارة بلغت إلى درجة حادة، حتى إن الشركات التجارية، وخاصة شركات المقاولة التي تعاقدت مع البلدان العربية على تنفيذ مشاريع كبيرة في مجال التشييد والعمران، أعلنت حاجتها إلى الخبراء باللغة العربية عن طريق أجهزة الإعلام، وأتذكر أن هذه الإعلانات استمرت فترة طويلة من الزمن دون أن يلبيها أحد من المواطنين، فضاق الأمر بهذه الشركات ذرعاً حتى اضطرت أن تستخدم في هذا المجال من أبناء مدينتي أنطاكيا وكركوك العراقية الذين أصبحوا بأنفسهم من أكبر المشاكل على هذه الشركات لقلة خبرتهم باللغة العربية. وخاصة عندما حملوا مهام الترجمة الفنية والمسؤوليات الإدارية، والقيام بالحوار مع الجهات ذات العلاقة، فتمخض الأمر عن صورة فاشلة واصطدمت الشركات بخيبة الأمل في هذه النظرة إلى حد بعيد.

إن المجالات العلمية أيضاً خالية من الخبراء باللغة العربية في تركيا، وهذا أمر في غاية الخطورة بالنسبة لحقل الدراسات الإسلامية.

وكدليل على هذه الحقيقة نشير إلى مقال لأحد شيوخ الأتراك، نشرته جمعية الدعوة الإسلامية في كتاب صدر تحت عنوان: (الندوة العالمية حول ترجمات معنى القرآن الكريم)[4] وشاع أن هذا المقال ليس هو النص الذي تم نشره في الكتاب المذكور، إنما هي ترجمة النص الأصلي المدون باللغة التركية، وجاء ذلك لعجز صاحب المقال أن يدون رسالته باللغة العربية مع ما يدعي أنه من أساتذة العلوم

(4) الطبعة الأولى: 1391 من وفاة الرسول ﷺ عنوان المقال: نظرة إلى تفسير القرآن في تركيا صفحة: 149 -163. بقلم الدكتور بدر الدين جنين آر.

الإسلامية بكلية الإلهيات في تركيا، ويؤكد على ذلك صياغة المقال وما ورد فيه من الدلائل.

لقد كان أمل الصهاينة أن يدحرجوا الشعب التركي إلى هذا المستوى، وقد انتصروا لأنهم مهدوا هذا الطريق أولاً بالقضاء على المؤسسات الإسلامية وعلى رأسها الجامعة الزهراء.

هذا، ولا يحيق خطر بأي شعب من شعوب العالم أشد من أن يتنكر العدو بسلوكه الشعبي ويتستر من وراء مظاهره القومية، ويتسرب بذلك بين صفوفه، ومتى نجح العدو في هذا الأسلوب من الخبث، فإنه دليل قاطع على أن ذلك الشعب قد أصبح على وشك أن يندرج في قائمة التاريخ للأمم التي يرثيها ليكون عبرة لمن بعدها.

وبهذا فإننا نستطيع بكل سهولة أن نميز بين الأسلوبين للاحتلال الصهيوني في كل من تركيا وفلسطين فإن كلاهما محتلتان في الحقيقة، ولكن مصيبة هذا الاحتلال بالنسبة لتركيا أدهى وأمر، لأن العدوان الذي يغتصب أرض الإسلام في فلسطين اليوم يعترف بيهوديته بل ويعتز بها إذن فإنه عدو معروف بظاهره وباطنه، وبالتالي يمكن محاربته حتى النصر أو الموت. أما العدو الذي يحتل تركيا ويستعبد الشعب التركي فإنه يدعي الإسلام في الحين الذي يجني فيه على الإسلام والمسلمين بأبشع أساليب المكر والخداع، دون أن يشعر الشعب بأدنى شيء من هذه اللعبة الخبيثة والمحاولة الخطيرة.

إن الجامعة الزهراء كانت على بينة من هذه الحقيقة قبل سبعين عاماً، لذلك بذلت قواها في تنبيه مشاعر الشعب حول استعدادات يهود سالونيك، وأطماعهم ونواياهم الخبيثة، وعندما أصبحت الجامعة خطراً على دسائسهم ارتكبوا سلسلة من الجرائم ضدها وهي:

أولاً: اتفقوا على إلغائها ضمن سلسلة من حملاتهم التشريعية التي استهدفوا بها القضاء على الروح الإسلامي في حقيقة الحال وليس الأمر كما يدعي بعض المتملقين المداهنين الذيول بأنها كانت تستهدف «القضاء على المظاهر الدينية المختلفة التي لا علاقة لها بجوهر الدين والتي لم تكن سوى عادات وتقاليد

موروثة منذ مئات السنين».

وبداية من عام 1926 م أصبحت الجامعة الزهراء غير معترف بها، فدخلت الجامعة بهذه الكارثة في أزمة حادة، لأنها غدت غير موجودة اعتبارياً، وبالرغم من ذلك فإنها ظلت صامدة في مسيرتها التربوية من غير أن تعترف هي بهذا القانون ولا بالجهة المصدرة له، ثم بدأت الجهة الصهيونية بشن حملات دعائية قامعة ضد الجامعة وخاصة فإن المحافل الماسونية اليهودية كلفت بطانتها وعملاءها من أمثال خليل خُلقي أفندي (عضو المجلس النيابي لمدينة سعرد) الذي كان يناديه الناس فيما بينهم (خنزير خلقي أفندي) ومحمود نديم بك (عضو المجلس النيابي لمدينة سعرد أيضاً) وإلياس خواجة أفندي (عضو المجلس النيابي لمدينة سوش) كلفتهم المحافل الماسونية بحملة شعواء من الدعاية القامعة ضد الجامعة في أواسط العامة لقطع الإمدادات والدعم المادي الذي كان يقوم به جمهور العشائر من سكان المنطقة لتمويل الجامعة.

ثانياً: اهتم الجانب اليهودي في الحكومة بتطبيع الوسط السياسي نحو اتجاه مساير مع المتصوفة والدراويش والمشعوذين الذين كانوا يلحقون أضراراً معنوية جسيمة بتعاليم الإسلام ومفاهيمه، لأن هذه الزمرة الرجعية المتخلفة كانت في نفس الوقت جبهة معادية للجامعة الزهراء بسبب الأهداف التي تبنتها الجامعة من الإصلاحات الفكرية والعقائدية والثقافية في صفوف الشباب المسلم لتنمية جانبهم الروحي والوجداني، وتحريرهم من عبودية غير الله ووضع اللبنات لبناء حضارة إسلامية شاملة.

فبذلك ضربت الحكومة صفحاً عن كل ما كان يفعله الخرافيون وجماعات التكايا من المغالات والشطحات رغم القانون الصادر بتعطيل نشاطاتهم المتطرفة، ذلك لتحقيق أهداف ماكرة، منها: أن محاولات واتجاهات هذه الجماعات الخرافية كانت تزيد البلة في طينة الوضع المنتكس على المسلمين المتحضرين وتسيء إلى سمعة الإسلام في أواسط الناشئة الصاعدة التي كانت في اعتبار اليهود المتأسلمة رصداً هاماً سيقوم في المستقبل القريب بدور الترسيخ للآمال اليهودية في روح الشعب إذا ما استولت الكراهية للإسلام على فكرة هذه الناشئة كنتيجة للشكوك

والتشوش المتخمض عن خرافيات هذه الجماعات المتعصبة.

ومن هذه الأهداف الماكرة أيضاً: أن المتصوفة وشيوخ الطريقة كانوا يتمتعون بسلطة واسعة على قطاعات الشعب، فكانوا يلبسون على الناس أصالة الإسلام ووضوحه وسهولته وواقعيته، ويخدرون عقولهم بأفكار غامضة معقدة، مما جعل من هذه الأفكار تزيد في جهل الناس وتفسد ذوقهم وتجعل منهم جماعات كسالى مثل قطائع الغنم وبالتالي كانت تسهل استغلالهم في نفس الوقت، فهذه الحالة السلبية السائدة على سكان المنطقة كانت تمهد الفرصة لتحقيق أهداف أعداء الإسلام تلك الأهداف التي كانت الغاية منها استئصال الإسلام بكامله.

ثالثاً: إن عصابة يهود سالونيك المتنكرة في صفوف حكومات الجمهورية لما يئست عن القضاء على الوجود المادي للجامعة، وذلك بحكم الطبيعة الجغرافية القاسية التي كانت تكتسب المنطقة بها مناعة من تدخل القوات إليها، وبعد أن تأكدت بأنها سوف لن تنجح في تحقيق هذا البغية بالعنف خلال المدة التي كانت تحرص أن تقتلع الجامعة من جذورها. بدأت هذه المرة تركز جهودها على طمس الوجود المعنوي للجامعة.

وعلى رأس الأهداف التي طالما شنت المحافل الماسونية دعايتها الشيطانية القامعة لطمسها، كان هو اسم (الزهراء) رمز العلم الإسلامي الزاخر، وعنوان النور الساطع الفاخر. لقد استطاعت هذه الجامعة العظيمة أن تتحدى غطرسة اليهود مدة طويلة وأن لا تبالي بشرها، لكن حملاتها الدعائية التي لم تعرف الهوادة والفتور، جاءت أشد خطورة من أنها لو كانت غارات مسلحة.

فغلبت أخيراً بهذه الدعايات المضللة على عقلية سكان المنطقة ونفذت إلى مشاعرهم بحيث أصبح اسم (الزهراء) لا تتداوله الألسنة عادة على المستوى الذي كان يحظاه في الماضي القريب حتى داخل مثابات الجامعة نفسها. ثم تقلصت المصادر التي كانت تمول الجامعة على كر السنين بحكم هذه الدعايات الماكرة، فأثرت هذه الحرب الفكرية والنفسية على الضمائر والعواطف والسلوك حتى في صفوف سكان المنطقة ولعبت دوراً خطيراً في صد انتباههم عن الرمز

الذي كان يمثل أهمية الجامعة ويعبر عن عظمتها.

رابعاً: إن جميع التجارب التي مارسها يهود سالونيك من عام 1923 م، لإحباط النشاطات الدراسية والتربوية في مثابات الجامعة الزهراء رغم كثافة هذه التجارب، كثيراً ما كانت تنتهي بالفشل وخيبة الأمل ولما تأكدوا بأن كافة أساليب الكيد والحيل التي جربوها في سبيل هذه البغية سوف لن تمكنهم من تحقيقها بسهولة، فإنهم بادروا بتأسيس معاهد الأئمة والخطباء عام 1940 كتجربة أخيرة نهائية للقضاء على الجامعة وعلى الإسلام في تركيا، لأنهم في الحقيقة لم يتربصوا الدوائر بالجامعة إلا تخطيباً وإقداماً على ما هو أشد من ذلك ألا وهو العبث بالقيم الإسلامية وتمييع الحقائق وإلباسها على الناس بالطرق التي تمنع الإطلاع على مستوى الخبث والخطورة المقرونة بهذه الحيل.

وعلى أثر هذه المبادرة ركزت القوى اليهودية جهودها على نشر دعايات كثيفة بين صفوف الشعب بأن الحكومة قد غيرت اتجاهها السلبي في النظر إلى الإسلام، وإنها قد رأت من الضروري أن توافق على إقامة مدارس دينية لسد الثغرات التي حدثت في المجال التربوي منذ عام 1926 م وحاولت هذه القوى اليهودية أن تمارس أسلوباً ماكراً في إقناع الشعب وكسب ثقته بهذه المدارس الجديدة حيث إن الشعب لم يكن على ثقة من تصرفاتهم.

وهل يحتاج الأمر إلى دليل أعظم من هذه الوثيقة التاريخية التي سوف نسجلها فيما يلي، يشعر الشعب بعدها بأدنى ثقة فمن هؤلاء اليهود الذين أعلنوا حقدهم على مقدساته بعد أن ظلوا يدجلون وينافقون طيلة ثلاثة قرون، ثم قاموا بالتعبير عن إخلاصهم للشعب ودينه حتى يتمكنوا بذلك من إنزال ضربتهم الأخيرة على قلب الإسلام عن طريق هذه المدارس الجديدة ليعشش الجهل والغفلة والعمى.

وإليكم الوثيقة فيما يلي: وهي رسالة صادرة من وزارة الداخلية التركية بتاريخ: 1943/5/17 م ـ أنقرة تحت رقم: 653 موجهة إلى رئيس هيئة التحرير لصحيفة سبيل الرشاد:

النص التركي(*):

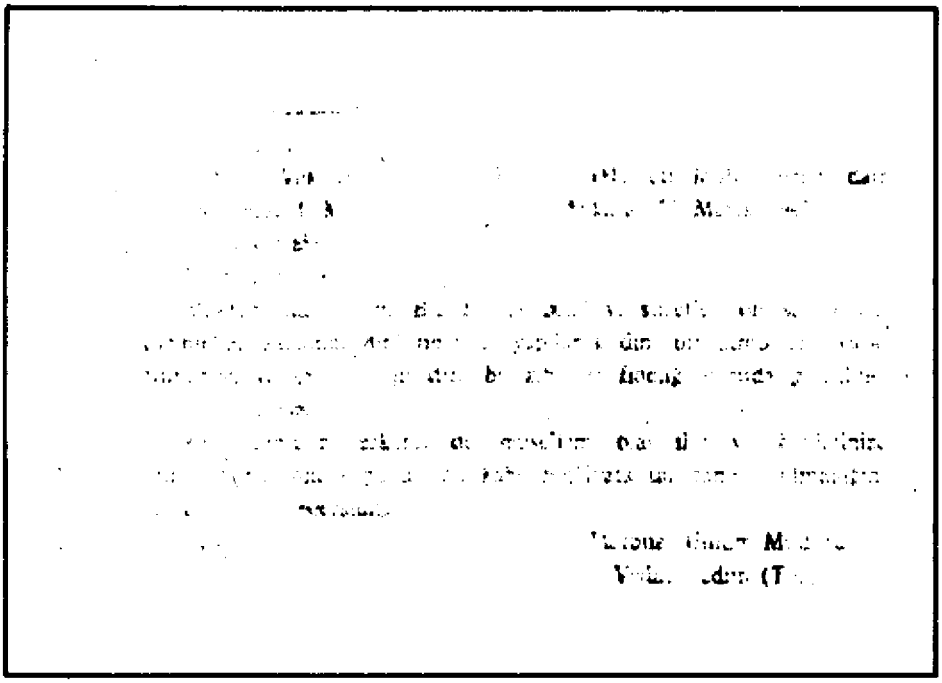

ترجمة الوثيقة:

الجمهورية التركية

وزارة الداخلية

المديرية العامة للمطبوعات

الرقم/ 653

الموضوع: فيما يخص بالرسول محمد

1943/5/17 م

السيد المحترم

تلقينا رسالتكم، ورداً عليها: فإننا لن نتسامح بالنسبة للقيام بخلق جو ديني، وإيجاد وسط يثمر بفكرة دينية للشبيبة سواء عن طريق النشر أو بأي وجه من الوجوه.

(*) مقتبسة من كتاب: الدين والعلمانية DIN VE LAIKLIK للأستاذ بروفرور علي فؤاد باشكيل ـ صفحة: 12 الطبعة: 16000/ دار سوغماز للنشر والطباعة/ 1966 م اسطنبول.

هذا، ومع ما نقر لحضراتكم من العلم والفضيلة إلا أن ظروف الوقت الحاضر لا تسمح لهذا القبيل من الدعاية كما ستقدرون ذلك.

وداد نديم ثور
مدير عام للمطبوعات

هكذا وصلت الخطورة إلى هذه الدرجة، وأخيراً تحققت آمال يهود سالونيك إلى حد كبير، لأنهم استطاعوا أن يثيروا فتنة رهيبة بالنظر المستخف إلى الإسلام وتعاليمه ومفاهيمه بين قطاع واسع وإن لم تكن على مستوى الشعب كله، فأصبحت القيم القرآنية مداراً للسخرية والشكوك في المحافل والمجالس.

ولولا خروجنا عن نطاق الموضوع لاستعرضنا ما تحار له العقول وتثور به الغيرة الإيمانية من محاولات اليهود بشتى أساليب الحيل والخيانة والبهتان والنفاق، قاموا بها وهم متنكرون بالإسلام، فكان استئصال الجامعة الزهراء التي كانت عقبة كبيرة تمنعهم من القضاء على للإسلام. وبحكم الطبع فإن الجامعة باتت أمراً ثانوياً بالنسبة لهذه المشكلة، لأن أية مصيبة مهما كانت فإنها تهون دون ما يتعرض له الإسلام مباشرة. وقد أحاقت المحن بالجامعة يوماً بعد آخر إلى أن حلت بها الكارثة الكبرى عام 1974 م.